

المعرفة البينية بالعلوم اللسانية والنفسية والاجتماعية وأهميتها لمعلم العربية

Interdisciplinary Knowledge In Linguistics, Psychological And Social Sciences And Its Importance For The Teacher Of Arabic Syntax

جمال بسعودي¹

¹ جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعرييج (الجزائر)، djamel.bessaoudi@univ-bba.dz

تاريخ الإرسال: 01-06-2023 تاريخ القبول: 24-06-2024 تاريخ النشر: 30-12-2024

ملخص: يقوم الفكر الاستمولوجي على مبدأ تكامل العلوم وتعالقها، وتحضر هذه العلاقة البينية بصورة وظيفية في العملية التعليمية، التي تقوم على أركان ثابتة تربطها علائق متصلة بعلوم متفرقة؛ لسانية، ونفسية، واجتماعية، تستدعي بالضرورة معلما حاذقا يعتلي ساحة العلوم من موقع بانورامي يمكنه من كشف العلاقات المختبئة بين الموضوعات المتفرقة، مقتنعا بأهمية الانفتاح على التخصصات العلمية لمواكبة التقدم المعرفي الذي يستدعي الاستعانة بمختلف المعارف التي تتلاقح وتتحد وتسهم جميعها في فهم الظواهر واستنباط الحقائق وتقديم الحلول وجني النتائج، وبالنظر إلى أهمية الدور الذي يؤديه المعلم بعده محورا فاعلا في العملية التعليمية، فما حقيقة الدراسات البينية؟ وما أهميتها في حل الإشكالات التعليمية؟

الكلمات المفتاحية: الدراسات البينية؛ اللسانيات النفسية؛ اللسانيات الاجتماعية؛ علم الأصوات

Abstract : The epistemological approach is based on the principle of integrating and correlating sciences ,and this interrelationship plays a functional role in the educational process that is based on stable pillars linked to diverse sciences, such as linguistics ,psychology and social sciences.this necessitates a skilled teacher who can grasp the panorama of knowledge and perceive the hidden connections between various subjects, while acknowledging the impmortance of openness to scientific specializations to keep pace with the cognitive progress that requires the use of various types of knowledge which intersect , unite and contribute to undrestanding phenomena ,deriving facts ,providing solutions and reaping results .considering the vital role that teachers play as active axes in the educational process, what's the reality of interdisciplinary studies and its importance in solving educational problems.

Keywords: interdisciplinary studies ; psycholinguistics; sociolinguistics; phonetics.

المؤلف المرسل: جمال بسعودي، الإيميل: djamel.bessaoudi@univ-bba.dz

1- مقدمة:

وُصفت النزعة الانفصالية والتجزؤ بين العلوم في مجال البحث بالتفوق والعيش في جزر منعزلة بسبب فكرة التخصص التي عجزت عن فهم وتقديم تفسير موضوعي للواقع، وقد نادى بهذه الفكرة عالم الاجتماع إميل دوركايم (Emile durkheim) في مبدأه القائم على تقسيم العمل الفكري، ما دفع بصاحب التخصص الواحد إلى الاستنجد والتعويل على ما تقدمه تخصصات أخرى من حلول لتحسين أعماله وكفاءاته، ولاسيما في تلك العلوم التي تكون فيها اللغة عنصراً أساسياً؛ كالتعليمية، وعلم المصطلح، والترجمة، واللغة القانونية، واللسانيات القضائية التي تبحث عن حلول المشكلات التي تعترضها من تخصص علمي آخر، عدّ بمثابة الوسيط البيني الذي يبحث في نظريات العلوم المختلفة وإخراجها من جمودها النظري التجريدي إلى حركيتها التطبيقية التجريبية بتقديمها لمجالات علمية أخرى، وعلى الرغم مما حققه هذا التخصص الوسيط المتمثل في اللسانيات التطبيقية من مكتسبات ونتائج يُشهد له حتى وصف بالجرس الذي تتلاقى عنده العلوم النظرية بنظيراتها التطبيقية، ولكن في ظل القصور المسجل في العملية التعليمية عامة وتعليم اللغة العربية خاصة، يسعى الباحث إلى رصد واقع الدراسات البيئية وصلتها بتعليم اللغة العربية، من خلال التفاعل بين النظريات اللسانية وعلم النفس وعلم الاجتماع، وضرورة تفعيل العلاقات القائمة بينها وتقريبها للمعلمين الذين غالباً ما يعتقدون بالتخصص العلمي الواحد، الذي أنتج ظاهرة تسطيح المعارف دون التسلح بالعلوم الأخرى، فقدّموا خدمات محدودة أثرت على التحصيل العلمي والمعرفي لدى المتعلمين.

2. الدراسات البيئية وتعليم اللغة

لقد أصبح مدار الحديث اليوم في الأبحاث العلمية حول الإقرار بفاعلية المنهج البيني في تفعيل المعرفة ضمن مختلف المجالات، وما أحوج المعلمين بصفاتهم قائمين على تقديم المعرفة إلى هذه المقاربة باعتبارها "عملية تقوم على الجمع بين كفاءات أو أفكار آتية من ميادين علمية أو فكرية مختلفة لتحقيق

جمال بسعودي

هدف مشترك، وذلك بالتوسل بمقاربات مختلفة لمواجهة مسألة بذاتها" (كاظم، 2013، صفحة 241)، وهذا الجمع بين الكفاءات والعلوم أطلق عليه مصطلح البينية الذي شاع كمقابل للمصطلح الإنجليزي (Interdisciplinarity) ورديفه الفرنسي (Interdisciplinarité)، وقد أرجع أحد الباحثين في تتبعه لمفهوم المصطلح أنه يعود إلى عصر النهضة الأوربي الذي شهد سجالا حادا حول طبيعة المعرفة: هل هي السعي إلى التخصص في ميدان معين أم إلى احتياز معرفة إنسانية شاملة؟ معرجا في الوقت ذاته على الهجومات التي تلقته جامعة السوربون الفرنسية في بدايات القرن العشرين خلال انتفاضة الطلبة في 1868 تصديا لمبدأ تقسيم العمل الفكري وتخصيصه، مما قاد إلى إصلاح الجامعة الفرنسية بالخروج من عالم الإنسان ذي الفكر الواحد، أو الجهاز المفهومي الواحد إلى الإنسان البيني (كاظم، 2013، صفحة 242)، حيث تُعرّف البينية بأنها "استخدام وتنسيق التخصصات المناسبة في نهج متكامل لوضع حلول للمشكلات العلمية ومعالجتها، من خلال الاستعانة بالعلوم المحايثة لتطوير المعرفة (Pierre، 1994، صفحة 9)، فهي - البينية - تقوم على تلافح التخصصات المعرفية لإيجاد حلول لمشكلات تعترض معرفة معينة، ولعلّ التعريف الشهير الذي لخص فيه ابن خلدون تعريفه للأدب يناسب هذا المقام، بكونه - الأدب - "حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كلّ علم بطرف" (خلدون، 1981، صفحة 553)، فالتزود بالعلوم المختلفة والمعارف المتنوعة ضرورة كل باحث يهتدي بها إلى حقيقة الأشياء والموجودات، وقد أدرك العلماء المسلمون قديما بفكرهم الثاقب أهمية الأخذ من منابع العلوم وروافدها على اختلافها فكانوا موسوعيين يألفون في مجالات شتى؛ فهذا البيروني (973م - 1048م) أحد أعظم علماء المسلمين، كان فيلسوفا وفلكيا وصيدلانيا وجيولوجيا ومترجما، وابن سينا الذي اشتهر بالطب والفلسفة والرياضات وعلوم اللغة، ومثله ابن رشد (1128م - 1198م) الذي ألف في الطب والفلسفة والموسيقى وعلم الفلك، وجابر بن حيان (721م - 815م) الذي برع في علوم الكيمياء والفلك والهندسة والمنطق والطب والصناعة، والفلسفة، وكذا الخوارزمي (781م - 874م) عالم في الرياضيات والطب والجغرافيا، وأبو بكر الرازي (864م - 923م) الذي ألف في الكيمياء والطب والرياضيات والفلسفة (فارس، 1993،

عنوان المقال: المعرفة البيئية بالعلوم اللسانية والنفسية والاجتماعية وأهميتها لمعلم العربية

صفحة 32 وما بعدها)، فبعد أن كانت الشمولية والموسوعية والأخذ من كل علم بطرف هي نهج العلماء، قام على أنقاضها المنظور التخصصي واعتلائه ساحة البحث العلمي وصار كل علم متفرد بمصطلحاته، وأفكاره ودقائق ميدانه.

واللغة ترتبط في أساسها بالإنسان، وكل دراسة تتعلق بالإنسان سواء أكانت تجريبية أو تجريدية، يلجأ فيها إلى اللغة لتقدير وتفسير الحالات النفسية والاجتماعية والثقافية، فالطبيب النفسي في تشخيصه للمرض يستعمل اللغة في محاوراته مع المريض للوقوف على حالته، والمعلم في حجرة الدراسة في استعماله للغة تتجاذبه معالم علوم متداخلة تجسدها النظريات اللسانية النفسية التي تهتم بطرائق وآليات اكتساب اللغة، واللسانيات الاجتماعية تتجاذبها قضايا ثقافية ومعيشية وبيئية لها بصمتها الواضحة في التعدد اللغوي وتأثيره على التحصيل العلمي والاكتساب اللغوي، التي تعدّ منطلقاً لوضع السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي، بناء على ملامح المجتمع وقضايا اللغوية التي تعتريه كالثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية وغيرهما من الملامح الاجتماعية، وعلم الأصوات بنظرياته الفيزيولوجية، والأدائية، والجمالية التي ينبني عليها فن النطق، فرصد العلاقات القائمة بين العلوم وتوظيف كل منها في العملية التعليمية أصبحت ضرورة ملحة يُستنار بها في المواقف الصفية تحقيقاً للأهداف والغايات التعليمية.

ولا شك في أن امتلاك مُعلّم اللغة لثقافة معرفية متعدّدة في مجال علم النفس وعلم الاجتماع، وعلوم اللسان ستتيح له تناول الموضوع الواحد من عدة زوايا وجوانب، تمكنه من الإجابة عن التساؤلات، وإيصال المعرفة وتقديمها إلى المتعلمين في أبسط صورها، فيشعرون معه بنوع من الارتياح الذي يقود إلى الاستجابة التي بدورها تُفعّل المعرفة.

3. مُعلّم اللغة والدّراسات البيئية

مُعلّم اللغة بحاجة إلى معارف تعينه على حلّ مشكلاته ومواجهة تحديات لسانية ونفسية واجتماعية لإنجاح الفعل التربوي، بعد أن أصبح فيه مجال التخصص الواحد غير قادر على تلبية الحاجيات التعليمية

جمال سعودي

ومواكبة المتغيرات التي فرضها الانتقال إلى الخيارات المتعددة لبحث الحلول، والانتقال من التنظيم المتدرج إلى التنظيم الشبكي المتداخل للمعارف الذي يقدم خيارات وبدائل مفتوحة، تأخذ من منابع شتى تسهم في تحسين الكفاءات والمهارات وتقديم المعرفة بإضافات مبدعة "من خلال تكامل مساهمات التخصصات العلمية في تفاعلها وتبادلها للمعلومات بهدف حل مشكلة معينة" (Valade, 2018, p. 86)، هذا التكامل الذي تحققه المعرفة البيئية من طريق الانتقال بين التخصصات وتفعيل روابط العلاقات القائمة بين العلوم واستثمار وضعياتها الوسيطة وظيفياً للارتقاء بالخدمات المقدمة، تمنح المعلم إمكانية التوسع في المعرفة والأخذ من روافدها المختلفة "وربط علمه بنواتج العلوم الأخرى يجعله شبيهاً بالبوتقة التي ذاب فيها الجزء بالكل فيطهى بنار العقل الهادئة فتتصاعد من تلك البوتقة أبحرة المعرفة المبدعة والمتميزة" (ليب، 2022)، ولعل من بين أهم المعارف الضرورية لمعلم اللغة ما أفرزته العلوم النفسية، والاجتماعية، واللسانية من نظريات تتعلق بآليات اكتساب اللغة التي تتداخل فيها مجموعة من العوامل الفيسيولوجية، والنفسية والبيئية، باعتبار اللغة "ظاهرة بسلوكية اجتماعية ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد" (فريجة، 1981، صفحة 14)، وسنحاول طرق نظريات بعض العلوم التي تُحقق فكراً مبنياً يساعد معلم اللغة على تطوير أدائه في تقديم المعرفة بطرائق متنوعة، وآليات مبسطة تجعلها مقبولة مرغوبة لدى المتلقين، كون تعدد التخصصات ليس غاية في حد ذاته، ولكنه وسيلة لتعزيز استخدام عمليات التعلم التكاملية ودعمها وتعزيز تكامل المعرفة، أو بعبارة أخرى تنمية التفكير المعرفي المعقد في ظل هذا العالم غير المنفصل (Serina-Karsky, 2020, p. 1).

1.3 الاستفادة من علم النفس:

يمثل اكتساب اللغة أحد أهم المواضيع التي تم بحثها من جوانب متعددة حاز فيها علم النفس قصب السبق، وقدم فيها نظريات محورية يعتمد عليها كل من حاول فهم عملية اكتساب اللغة، وقد ميز المختصون بين نوعين من القوى النفسية؛ الأول تمثله الأفعال الغريزية وهي ذات وظائف مطبوعة في الفرد تنجر عنها أفعال على نمط واحد، والثاني تمثله قوى نفسية تتقبل ما تتلقاه من خارج الذات، ومن خلالها

عنوان المقال: المعرفة البيئية بالعلوم اللسانية والنفسية والاجتماعية وأهميتها لمعلم العربية

يستطيع القيام بتوليد أفعال جديدة (فريجة، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، 1990، صفحة 28)؛ فالنوع الأول من القوى النفسية يتعلق بجميع الأفعال الغريزية، التي يقوم بها الإنسان ضرورة، وتشارك فيها جميع المخلوقات الحيوانية، وهي على نمط واحد غير قابلة للتغير؛ كحاجة الإنسان للأكل، والشرب، والنوم وغيرها، أما النوع الثاني من القوى النفسية هو المهيأ لتقبل ما يتم تلقيه من خارج الذات، فتكون النفس في حالتها البدائية إذا كانت المدركات أول ما يدخل على النفس، ثم تنتقل من حالة لأخرى إلى غاية اكتساب ما عرض عليها، كإكتساب اللغة، وفهم العلامات والمؤشرات الطبيعية والبيئية التي تحصل للإنسان من طريق الخبرة والتجربة.

فالدراسات النفسية تسعى إلى تحديد الكيفية التي تكتسب بها المعلومات، وتخزن، وتستدعى لتوظف في مواقف حياتية، وقد وضعت نظريات ونماذج تحدد كيفية اكتساب هذه المعلومات ومعالجتها، كما في: "نموذج التعلم لتجهيز ومعالجة المعلومات (An information Processing model of learning)"، الذي ينسب إلى أ. ماير (Adolf Meyer) الذي يرى أن المكونات الأساسية لنظام تجهيز المعلومات تتمثل في أربعة مكونات رئيسية " (الزيات، 2004، صفحة 38):

1- المخزن الحاسي قصير المدى (Short-term sensory stor)، الذي يمثل أول مستقبل للمعلومات من المدخلات الحسية (سمعية، أو بصرية، أو لمسية)، حيث تدخل إلى هذا المخزن وتخزن لحظياً ثم تنتقل إلى الذاكرة قصيرة المدى. والمعلومات التي لا تنتقل إلى الذاكرة قصيرة المدى تفقد بسرعة خلال جزء من الثانية.

2- الذاكرة قصيرة المدى (Short-term memory): تنتقل المعلومات من المخزن الأول إلى الذاكرة قصيرة المدى فتتحول إلى صيغة لفظية باستخدام ما يسمى التشفير أو الترميز؛ فإذا قرأ المتعلم اسم معين مثل "كتاب" فإن الصورة المرئية لرسم الكلمة تسقط على المخزن الحاسي قصير المدى، فتتحول إلى الذاكرة قصيرة المدى؛ حيث يتم فك ترميز ذلك الرسم أو الصيغة الشكلية وتتحول إلى معلومة أو مفهوم.

جمال بسعودي

3- الذاكرة طويلة المدى (Long-term memory): تنتقل إليها المعلومات من الذاكرة قصيرة المدى، فتخزنها وتحاول الاحتفاظ بها لحين الحاجة إليها، فهي ذاكرة تخزن بها المعلومات لفترة أطول من سابقتها، تُستدعى منها المعلومات من خلال التذكر والاسترجاع بإثارتها وتفعيلها في مختلف المواقف.

4- عمليات الضبط الإجرائي (Executive control processes): تمثل هذه العملية آخر مراحل التحكم في المعلومات الواردة، وتعتمد على وعي الفرد ببنائه المعرفي وطبيعة المعرفة لديه، أو خصائصها من حيث مكوناتها وتنظيمها وتكاملها.

تعتبر هذه المراحل الأربعة - حسب علماء النفس - التي يتم من خلالها اكتساب المعلومات من البيئة، عبر الحواس، فترسل إلى الدماغ على شكل شفرات يتم تفكيكها، فيُخزّن من تلك المعلومات ما يلاقي اهتماماً من الفرد ويُفقد الباقي بسرعة؛ حيث يفسّر أحد المختصين طريقة استقبالها وتخزينها بأنها تتمّ بدءاً باستقبال المعلومات من البيئة المحيطة عبر المستقبلات الحسية، فتتحوّل إلى رسائل ترسل إلى الدماغ وتُخزّن هناك بسرعة كبيرة تبلغ ربع ثانية في مجموعة من التراكيب تسمى السجل الحسي (Sensory Register)، ولكن القليل منها يلاقي الاهتمام ولذلك تسمى أحياناً بالإدراك الاختياري، هذا الاختيار يجنب حدوث تراكم المعلومات (قطامي، 2013، صفحة 43)؛ فمعرفة معلّم اللغة لهذه المراحل النفسية التي يحصل بها اكتساب المعلومات، انطلاقاً من المدركات الحسية، وكيفية انتقالها، وآليات تخزينها، وتنظيمها حتى تصبح خبرات معرفية من مخزون المتعلم يستدعيها في مواقف الحياة المختلفة، يُعدّ ضرورة لما له من إسهام فاعل في إنجاح العملية التعليمية وتحقيق الأهداف، ولعلّ إدراج الصور كعنصر مساعد وللنصوص التعليمية فيه نوع من التجسيد لهذه النظرية الحديثة التي تحدّد كيفية اكتساب الفرد للمعلومات وكيفية تخزينها، وكيفية استدعائها، فحضور الصورة بشحنتها الدلالية من شأنه أن يدعم عملية الاحتفاظ بالمعلومات واستحضارها عند الحاجة، لما تكتنزه تلك الصور من قدرة على ربط المجرد بالواقع، وهذا ما يجعلها أكثر رسوخاً في الذهن.

عنوان المقال: المعرفة البيئية بالعلوم اللسانية والنفسية والاجتماعية وأهميتها لمعلم العربية

كما تعدّ المعرفة بمراحل نموّ المتعلّم النفسيّة ضرورة أخرى لمعلمي اللغة للتمكّن من التعامل مع كلّ مرحلة من مراحل النموّ، لتجنّب الوقوع في مشكلات تعيق التواصل والاستجابات؛ إذ يرى المختصون في علم النفس أنّ "الطفل منذ ولادته تتنازع مجموعة من المراحل النفسيّة التي نوردها مختصرة فيما يأتي: (نشواني، 1983، الصفحات 179-180)

- المرحلة الأولى: مرحلة الإحساس بالثقة مقابل الإحساس بعدم الثقة: وهي مرحلة تمتد من الولادة حتى الشهر الثامن عشر.

- المرحلة الثانية: (من الشهر الثامن عشر حتى السنة الثالثة): يكشف الطفل في هذه المرحلة أنّ له سلوكا خاصا به، فيمارس أنماطا سلوكية مألوفة.

- المرحلة الثالثة: (من ثلاث إلى ست سنوات): إذا كان نمو الطفل في المرحلتين السابقتين سليما، فإنّه يتمكن من توسيع حدوده الاجتماعية على نحو واثق وتدرجي، ويبدأ بتطوير الضمير والإحساس بالصواب والخطأ؛ بحيث لا ينبغي استخدام أساليب عقابية متطرفة ضده حتى لا يتولّد عنده الشعور بالذنب الشديد وينسب لذاته سمة السوء .

- المرحلة الرابعة: (من السنة السادسة حتى الثانية عشر): يمكن لطفل المرحلة أن يحسّن قدراته الذاتية ومهاراته في التغلّب على الصعوبات التي يواجهها، حيث يستطيع تكييف نفسه لأداء العديد من المهام والمهارات في العالم المادي، ويتعلم الإحساس بكفاءاته المتزايدة في الأداء، وإنجاز المهام التي يُكلّف بها، وقد يواجه طفل هذه المرحلة الإحساس بالنقص الذي ينجم بشكل خاص عن عدم الاعتراف بجهده وقبوله كفرد منتج، وهنا يتجلّى دور المعلمين في تشجيع جهود الطفل والاعتراف بها كعامل تحفيز ودفع وخلق.

- المرحلة الخامسة: وهي مرحلة المراهقة أو مرحلة الانتقال من الطفولة إلى مرحلة الرشد أو النضج؛ فهي مرحلة تأهب لمرحلة الرشد وتمتد حسب علماء النفس من الثالثة عشر إلى التاسعة عشر تقريبا، فهي مرحلة تتطلب حنكة ودكاء في التوجيه وليونة في التعامل؛ حيث ينبغي خلالها مراعاة مشاعر المراهق وفهمه

جمال بسعودي

وتغليب جانب الحوار والنقاش لإقناعه، بدلا من فرض الأوامر والنواهي، والتدرج معه حسب الحالة التي يمرُّ بها، وهنا يحضّر دور المعلم كذلك في مساعدة المراهقين على الإجابة عن تساؤلاتهم المرتبطة بمشكلاتهم المستقبلية فيما يخص الدراسة والمهنة وتطوير الإحساس الإيجابي لديهم، وتوجيه ميولهم وتفكيرهم الوجهة السوية، بالنظر إلى احتمال هذه المرحلة على مجموعة من المطالب أو المهام تستدعي من الفرد امتلاك القدرة على مواجهتها وإنجازها بطريقة مناسبة ليتمكن من مواصلة مسيرته في مواجهة الصعوبات بالنظر إلى الصراعات التي يتعرّض لها من بينها: (زهران، 1986، صفحة 291)

- صراعات نفسية: فالمراهق الصغير يسعى لأن يكبر ويتحمّل المسؤولية ولكنه يحتاج لأن يظلّ طفلا ينعم بالأمن، وهو يسعى للاستقلال، ولكن مازال يحتاج إلى المساندة والدعم.

- ضغوط اجتماعية: يتردّد المراهق في اختيار قراراته وتحقيق ذاته بما يتطابق مع تفكيره وميوله مع الأخذ بالحسبان ما يوافق معايير مجتمعه.

- الاختيارات والقرارات: يقع على عاتق المراهق القيام بالاختيارات واتخاذ القرارات الحيوية التي تحدد مستقبله، وأهمها تلك القرارات المتعلقة بالتعليم (التخصص، المستوى، مدى التعليم، مكان التعليم... الخ).

وهكذا نرى أن دراسة سيكولوجية مراحل النمو مفيدة لمعلمي الأطوار التعليمية - ولا سيما الطور المتوسط والثانوي - بالنظر إلى صعوبة التعامل مع مرحلة المراهقة الحرجة من حياة المتعلّم، من طريق الإلمام بالتغيّرات النفسيّة لتكوين نوع من التعاطف المعرفي بينهم وبين المتعلّمين، وقد نبّه المختصون إلى ضرورة معرفة مفاهيم النّموّ الأساسيّة من قبل العاملين في ميدان التربية لفهم سلوك المتعلّم وكيفية حدوث التعلّم المرتبط بعمليات النمو الجسدي (زهران، 1986، صفحة 147)، للتمكن من مواجهة جميع المواقف الصفية بطريقة علمية علاجية وتحقيق نتائج إيجابية، وتجنب الدخول في خلافات ينعكس أثرها على المعلّم والمتعلّم.

2.3 الاستفادة من اللسانيات الاجتماعية والجغرافية:

عنوان المقال: المعرفة البيئية بالعلوم اللسانية والنفسية والاجتماعية وأهميتها لمعلم العربية

تَهْتَمُ الدَّرَاسَةُ اللِّسَانِيَّةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ بِدَارَسَةِ اللُّغَةِ الَّتِي تَتَحَقَّقُ فِي الْمَجْتَمَعِ، مِنْ طَرِيقِ التَّفَاعُلِ الْقَائِمِ بَيْنَ أَفْرَادِهِ، فَيَكُونُ الْفَرْدُ خَاضِعًا لِسُلْطَةِ النَّمُودَجِ اللُّغَوِيِّ الْمُسْتَعْمَلِ، كَمَا جَاءَ فِي تَعْرِيفِ ابْنِ جَنِيِّ لِلُّغَةِ بِأَنَّ "حَدَّهَا أَصْوَاتٌ يَعْبَرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ" (جني، 2008، صفحة 33)، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ لُغَةٌ مِنْ دُونِ مَجْتَمَعٍ، وَلَا مَجْتَمَعٌ مِنْ دُونِ لُغَةٍ؛ إِذْ يَطْوَعُهَا وَفَقًا لِحَاجَاتِهِ وَثَقَافَتِهِ وَبَيْئَتِهِ، الْأَمْرُ الَّذِي أَدَّى إِلَى تَبَايُنِ الِاسْتِعْمَالِ الَّذِي نَجْمُ عَنْهُ تَعَدُّدُ اللَّهْجَاتِ الْمُتَفَرِّعَةِ عَنِ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ نَفْسِهِ السَّائِدِ فِي الْمَجْتَمَعِ، لِهَذَا السَّبَبِ أُقِيمَتِ الدَّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ مِنْذُ الْقَدِيمِ عَلَى مَبْدَأِ الْمَكَانِ وَالْجَمَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ بِسَبَبِ تَنَوُّعِ الْحَدُثِ اللُّغَوِيِّ مِنْ مَكَانٍ لآخر ومن مجتمعاتٍ لآخر، وَقَدْ اعْتَمَدَ الْمُهْتَمُونَ فِي تَقْصِيصِهِمُ لِلْمَادَةِ الْفَصِيحَةِ عَلَى خُرَاطِطِ مِيدَانِيَّةٍ جُغْرَافِيَّةٍ، وَاقْتَصَرُوا فِي جَمْعِهَا عَلَى الْقَبَائِلِ الَّتِي لَمْ يَلْحَقْهَا لَحْنُ الْأَعَاجِمِ بِسَبَبِ انْعِزَالِهَا الْجُغْرَافِيِّ، فَمَوْضُوعُ اللِّسَانِيَّاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ يَتَوَسَّعُ إِلَى دَرَاةِ الْاِخْتِلَافَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَاللِّهْجِيَّةِ دَاخِلَ الْمَجْتَمَعِ، لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ اللُّغَوِيَّةَ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا كُلُّ فَرْدٍ نَائِجَةٌ عَنْ تَأَثُّرِهِ وَتَفَاعُلِهِ مَعَ لِسَانِ الْجَمَاعَةِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا، وَيَسْتَمِدُّ مَقُومَاتِهِ مِنْ مَجْتَمَعِهِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، بِاعْتِبَارِهِ ابْنَ بَيْئَتِهِ - كَمَا ذَكَرَ ابْنُ خُلْدُونِ -، يَتَأَثَّرُ بِثَقَافَةِ مَجْتَمَعِهِ وَحَضَارَتِهِ، فَتَتَكَوَّنُ عَقِيدَتُهُ وَفِكْرُهُ وَنَهْجُهُ فَيَتَرَجَّمُهَا سُلُوكًا وَمُمَاسَرَةً عَلَى وَاقِعِهِ، لِأَنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ اللُّغَةِ وَالْهَوِيَّةِ عِلَاقَةٌ وَثِيقَةٌ كَمَا كَتَبَ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ بِأَنَّ اللُّغَةَ "تَمْنَحُ قُدْرَةً كَبِيرَةً عَلَى خِدْمَةِ الْهَوِيَّةِ، مُحَافَظَةً عَلَيْهَا وَتُعْزِزُهَا، وَإِقْنَاعًا بِأَهْمِيَّتِهَا وَدَوْرِهَا فِي حَيَاةِ الْمَجْتَمَعِ" (جرار، 2020، صفحة 26)، كَمَا تُعْنَى اللِّسَانِيَّاتُ الْجُغْرَافِيَّةُ (Geographical Linguistics)، بِدَرَاةِ اللُّغَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ وَتَوَازُعِهَا الْجُغْرَافِيِّ وَمَجَالَاتِ النِّفُوذِ اللُّغَوِيِّ، وَاللُّغَاتِ الْوَطْنِيَّةِ، وَالِاسْتِعْمَارِيَّةِ، مَعَ تَتَبُعِ نِفُوذِ هَذِهِ الْأَخِيرَةِ عَلَى الْأَوَّلَى بَعْدَ زَوَالِ الْاِسْتِعْمَارِ، وَكَذَا دَرَاةُ مَوْضُوعِ اللُّغَاتِ الْأَوَّلِيَّةِ وَالثَّانَوِيَّةِ فِي مَنَاطِقٍ مُعَيَّنَةٍ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَنْهَا مِنْ تَعَدُّدِ اللُّغَاتِ (باي، 1998، صفحة 64)؛ فَهِيَ مُقَارِبَاتٌ عِلْمِيَّةٌ مُخَصَّصَةٌ لِلَّهْجَاتِ أَوْ اللُّغَاتِ طَبَقًا لِمَوْقِعِهَا الْجُغْرَافِيِّ بِالنَّظَرِ إِلَى خُصَائِصِهَا اللُّغَوِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ الَّتِي تَفَرِّقُ بَيْنَ لَهْجَةٍ وَلَهْجَةٍ أَوْ بَيْنَ لُغَةٍ وَلُغَةٍ أُخْرَى، "فَهُوَ عِلْمٌ يَبْحَثُ فِي تَصْنِيفِ اللَّهْجَاتِ وَاللُّغَاتِ عَلَى أَسَاسِ جُغْرَافِيٍّ" (عون، 2020، صفحة 135)،

جمال بسعودي

فاللسانيات الجغرافية علم تلتقي فيه اللغة بالجغرافيا، وعملية المسح اللغوي للمناطق المدروسة، يقود إلى التخطيط في وضع خرائط جغرافية أو أطالس لغوية تبين توزّع انتشار اللغات واللهجات في أماكن تواجدها، ولعلّ قضية الأطالس اللغوية من بين أهم قضايا اللسانيات الجغرافية؛ حيث تستخدمها أداة تطبيقية للقياس والإحصاء وتحديد الخرائط اللغوية الخاصة بلغة أو لهجة معينة.

وقد أجمعت الدراسات اللسانية الاجتماعية والجغرافية للاستعمال الفعلي للغة في المجتمع البشري، على أنّ المجموعة اللغوية التي تنتمي إلى رقعة سياسية وحضارية معينة، عادة ما تستعمل أنماط لهجية متفرعة عن النظام اللغوي المشترك السائد في المجتمع، بسبب ما يعرف بالثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية؛ حيث يقوم الازدواج اللغوي على تنافس بين نمطين عائدين للغة نفسها (الفصحى والعامية) وتخصيص كل نمط منهما لوظائف ومقامات معينة؛ ونظراً للحيز الكبير الذي تشغله العامية في الاستعمال اليومي بالمجتمع العربي أوضح المختصون أنّ الازدواجية اللغوية من أهم الأسباب المؤثرة على الملكة التواصلية للطفل العربي واستمرار تأثيرها عليه حتى عندما يلتحق بالمدرسة (طعيمة، 1986، صفحة 17)، الأمر الذي جعل واقع اللغة العربية الفصيحة مهدّد في ظلّ استعمال العامية، فيتصادف المتعلّم عند دخوله طور التعلّم مع مفردات عربية غريبة عن معجمه الوظيفي وهو السبب الرئيس الذي قاد إلى ضعف التلاميذ في تعلّم العربية الفصيحة واكتسابها، حيث يوضّح أحد الباحثين أنّ الازدواج اللغوي يخلق أثراً نفسية سلبية باللغة الضرر لدى الطفل تجعله في حيرة وتردّد في الفهم وغير واثق مما يقول، سريع التراجع عن إجاباته، بالنظر إلى ما يعتريه ويتجاذبه من عامي وفصيح (محمود، 2002، صفحة 71)، وإذا كان خطر الازدواجية بهذا الشكل على الرغم من قرب العامية إلى الفصحى في مادتها وتركيبها، فإن خطر الثنائية أكبر نظراً للاختلاف الكلي بين اللغتين المستعملتين؛ حيث تظهر مثلاً من خلال استخدام المتواصلين الفرنسية أو الإنجليزية مع العربية، فتفرض بذلك على المتكلّم عدم الثبات على استخدام لغة واحدة في تواصله مع غيره، مما يشتت تفكيره، وتفكير المستمع، فهي بدورها كشأن الازدواجية - كما يراه أحد الباحثين - تفرض على الفرد التردّد وعدم الثقة وسرعة الانتقال من لغة إلى أخرى لإيصال أفكاره مما يؤكد أنّ هذا

عنوان المقال: المعرفة البيئية بالعلوم اللسانية والنفسية والاجتماعية وأهميتها لمعلم العربية

المتحوّل لا يتقن اللغتين اللتين يستخدمهما (محمود، 2002، صفحة 87)، فينبغي على معلم اللغة أن يكون مُطلّعا على نظريات هذه العلوم والإفادة، منها، للتعامل مع الحالات التي يصادفها في مواقفه الصفية بطريقة علمية تمكنه من رصد مكامن الخلل ووضع الحلول المناسبة، فهو -معلم اللغة- يختلف عن غيره من معلّمي المقاييس الأخرى، فهو لا يكتفي بتقديم نظريات وشرح قوانين وقواعد فحسب، وإنما يفرض عليه منهاج المادة العمل على تكوين نشء يتمتع بروح وطنية، محصّن بمناعة فكرية يحافظ بها على ثقافته ويدافع عن هويته، حيث يعتبر النهوض بتعليم اللغة العربية قضية سياسية، واجتماعية، وتاريخية، وهذا بالنظر إلى العلاقة الوثيقة بين عنصر اللغة وقضايا الوطن، باعتبارها أحد أهم مقوماته.

2.3 الإفادة من علم الأصوات:

يمثّل الجانب الصوّتي من الكلام جانبا مهماً من جوانب اللغة وأساساً من أسس التواصل اللغوي الذي يبنى عليه فنُّ النطق بالكلام على الصّورة التي توضّح الألفاظ وتكشف القناع عن المعاني، وتؤثر في المستمع لينجذب إلى المؤدّي بكلّ حواسه السّمعية والبصريّة والشعوريّة حتّى تتمّ دورة الكلام ويحدث التواصل، فالنّظريات المقدمة من قبل علماء العربية وحرصهم على أن يكون نسيج كلمات اللغة مؤلّفاً من أصوات متباعدة المخارج، له أهميته في خدمة مبدأ السّهولة واليسر في النّطق والسّمع "والطفل أيضا في نطقه يلتمس أيسر الطّرق، وما لا يكلفه جهدا عضليا" (أنيس، 1975، صفحة 147) وهو أهمّ مطلب سلكه العرب في كلامهم، فُقرّب مخارج بعض الحروف مثل (الجيم والظاء)، (القاف والغين)، (الزاي والطاء والسين والضاد والذال)، يؤدّي إلى صعوبة في النّطق وعسرّه إضافة إلى عدم استساغة الأذن لها، حيث لا نجد كلمة في العربية تجتمع وتتوالى فيها هذه الحروف لصعوبة النّطق بها مجتمعة، عملا بمبدأ اليسر والسّهولة في النطق. وحسن اللفظ في السمع وحلاوته، وقبول القلب له مقرون بسهولة مخارج حروفه "فالمعنى إذا اكتسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنحه المتكلم دلا؟ متعشقا صار في قلبك أحلى ولصدرك أملى" (الجاحظ، صفحة 147)، فخروج الأصوات بسهولة هو مطلب من مطالب الفصاحة واليسر

جمال بسعودي

الذي يخدم المرسل والمرسل إليه، لتصبح الرسالة مرغوبة، وعلى معلم العربية فهم هذه المنطلقات الصوتية لتحبيب ما يقدم إلى نفوس المتلقين، وفي مثل هذا المقام لا يسعنا إلا تقديم مقتطفات عن بعض نظريات الفكر الصوتي العربي التي يمكن استثمارها من قبل معلم العربية في موافقه الصقيّة:

يشير الدارسون إلى أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175 هـ) هو من ابتكر تصنيف الأصوات انطلاقاً من مخارجها، وحقّق القول في مساحاتها، ووضع كلّ صوت موضعه في تتبّع فريد لم يستطع العلم الحديث أن يتخطاه بكلّ أجهزته المتخصّصة ويمكن القول بأنّ تقسيم الأصوات عند الخليل بالإضافة إلى مخارجها؛ تشتمل على مخطّط تفصيلي لعملية إخراج الأصوات وإحداثها، في شتّى تقلّباتها المكانية بدءاً من الرّئين في تدفق الهواء وانتهاء بالشفّتين عند الميم، تضاف إليها المميزات الأخرى والخصائص المتعلقة بالأصوات وفضائها.

فالخليل في تذوقه للأصوات، قد قلب حروف العربية، فوضعها في منازل معيّنة ضمن مخارج صوتيّة معيّنة بحسب مدارج مقدّرة من أقصى الحلق حتى إطباق الشفة في الميم، وقدم ابن جني تفصيلات وإضافات حول مخارج الأصوات ومسؤوليتها في أداء الحروف، وجاء من بعدهم المحدثون الذي قدّموا تحديداً وتفصيلات فقسّموا الأصوات إلى شفوية، وشفوية أسنانية، وأسنانة، وأسنانة لثوية، ولثوية، ولثوية حنكية، وطبقية، ولهوية، وحلقية، وحنجرية، ففهم هذه المبادئ يُعين بلا شكّ معلّم اللغة على أداء رسالته وتعليم اللغة العربية بدقائقتها الصوتيّة الوظيفيّة، وتوضيحها للمتعلمين عبر الأداء والشرح، وتصحيح العيوب التي قد يصادفها داخل الصفّ، عبر الأداء الجيد للأصوات، كما تتأتّى للمعلّم من خلال فهمه لمبادئ الفكر الصوتي العربي إحساس يستطيع به الكشف عن بعض الأخطاء النطقية لدى المتعلّمين، والقدرة على وضع حلول لهذه المشكلات من خلال استثمار معارفه في المجال الصوّتي، ومساعدة المتعلّم على تجاوز العقبات النطقية التي تواجهه؛ إذ تعتبر معرفة المعلّم للأعضاء المسؤولة على تأدية الأصوات وكيفية اشتغالها ضرورة لمساعدة المتعلّم على الأداء السليم للصوت مفرداً، مهما كان العيب النطقي الذي يعانيه والتدرج معه بالشرح في تشغيل العضو المسؤول عن أداء كل صوت، والانتقال من الأصوات السهلة

عنوان المقال: المعرفة البيئية بالعلوم اللسانية والنفسية والاجتماعية وأهميتها لمعلم العربية

إلى الصعوبة حسب الترتيب المخرجي الذي أتت به النظريات الصوتية العربية، وها هو (الخليل بن أحمد) يقدم مثالا رائعا حول معرفة مخرج الصوت في قوله: "وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا... ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله؛ لأنّ الساكن لا يمكن الابتداء به فنقول: اُك. اِق. اِج، وكذلك سائر الحروف" (جني، سر صناعة الإعراب، 1993، صفحة 1) ثم الانتقال إلى المستويات الأخرى الصرفية والتركيبية إلى غاية التحكم في المكتسبات الأساسية.

4. الخاتمة:

يتطلب التعليم تقنيات ومهارات من أجل إيصال المعرفة إلى المتعلم بواسطة معلم تتوفر فيه ميزات وكفاءات، ليصل المتعلمين بعلوم المستقبل، وقد أوصت كثير من الأبحاث والمؤتمرات بضرورة العناية بإعداد المعلم وضمان جودة إعداداته وتدريبه للتمكن من مواكبة مستجدات العصر، بعد أن اتخذ من تفعيل المعرفة بديلا لتكديس المعارف، فهو يحتاج من أجل أداء مهنته إلى معرفة بينية من علوم متنوعة نفسية، ولسانية، واجتماعية، وتاريخية، ومختلف العلوم المعاصرة ليتمكن من استثمار كل ما يعود بالنفع على العملية التعليمية؛ فمعلم اللغة المبدع هو طالب علم طول حياته لأنه يمثل أحد أهم عوامل نجاح التحصيل المعرفي، فهو يضطلع بمسؤوليات عدة لإعداد النشء وقد أشار المختصون إلى أهمية اختيار نوعية المعلمين الذين تعهد إليهم مثل هذه المهام التي عليها المعتمد في تطوّر الدول وازدهارها، إذ تُركز الدول المتقدمة على إعداد المعلمين بتخصيص معاهد وكليات خاصة لتكوينهم على استخدام التقنيات الحديثة وتعريفهم بالمستجدات التعليمية لمجارات التغيرات الحديثة، ولا يقتصر إعدادهم قبل الخدمة وإنما يستمر تكوينهم بشكل دائم ومتواصل طيلة مسارهم المهني، ويشمل تكوينهم وإعدادهم عدّة جوانب أهمها التكوين المعرفي، الكفاءة النفسية والاجتماعية، الكفاءة المهنية، الهوية والانتماء (رافدة، 2010، صفحة 128)، وقد قدمنا في حدود طاقة الورقة البحثية أهم المعارف البينية وبعض نظرياتها التي يجب أن يطرقها معلم العربية بالبحث للإفادة منها بما يعود بالنفع على العملية التعليمية التعلّمية؛ من خلال:

جمال سعودي

- الإفادة من نظريات علم النفس لفهم آليات اكتساب الفرد للمعلومات وكيفية تخزينها، وكيفية استدعائها، وفهم سيكولوجية مراحل نمو المتعلم لضمان حسن التعامل مع مراحل الحرجة، ولا سيما مرحلة المراهقة التي تستدعي إلماماً بالتغيرات النفسية التي تطرأ على المتعلم، لتكوين علاقات اجتماعية يسودها تعاطفاً معرفياً.

- الإفادة من نظريات اللسانيات الاجتماعية والجغرافية، لضمان حسن التعامل مع حالات المواقف الصفية المختلفة بطريقة علمية تمكن من رصد مكامن الخلل ووضع الحلول المناسبة وفقاً لمنهاج المادة التي تسعى إلى تعليم اللغة من جهة وتكوين نشء يتمتع بروح وطنية، محصن بمناعة فكرية يحافظ بها على ثقافته ويدافع عن هويته من جهة أخرى.

- الإفادة من علم الأصوات لأداء رسالته وتعليم اللغة العربية بدقائقها الصوتية الوظيفية، وتوضيحها للمتعلمين عبر الأداء والشرح، وتصحيح العيوب التي قد يصادفها داخل الصف، لتحبيب ما يقدمه إلى النفوس.

5. قائمة المراجع:

- 1- أنيس، إبراهيم، (1975)، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، ط1، ج1.
- 2- فريجة، أنيس، (1981)، نظريات في اللغة، دار الكتاب، بيروت، ط2.
- 3- حسن كاظم، جهاد، (2013)، في البنية نشأتها ودلالاتها، مجلة جامعة الملك سعود للآداب، السعودية، مجلد25، العدد02، صفحة241.
- 4- زهران، حامد عبد السلام، (1986)، علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، دار المعارف، القاهرة.
- 5 أحمد طعيمة، رشدي، (1986)، المرجع في تعليم العربية، جامعة أم القرى، السعودية، ط1.

عنوان المقال: المعرفة البيئية بالعلوم اللسانية والنفسية والاجتماعية وأهميتها لمعلم العربية

- 6- محمد جرار، صلاح، (2020)، تطوير اللغة العربية وتعلمها، المتطلبات، الأبعاد والآفاق، جامعة الشارقة، الإمارات، ط4.
- 7- نشواني، عبد المجيد، (1983)، علم النفس التربوي، دار الفرقان، الأردن.
- 8- الزياد، فتحي مصطفى، (2004)، سيكولوجية التعلم، ار النشر للجامعات، القاهرة، ط2.
- 9- لبيب، محمد، (2022)، العالم الموسوعي وفلسفة العلم، https://molhem.com/@mohamed_labib, (consulté le 02/05/2023)
- 10- باي، ماريو، (1998)، أسس علم اللغة، عالم الكتب، القاهرة، ط8.
- 11- فارس، محمد، (1993)، موسوعة علماء العرب والمسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
- 12- كايد محمود، إبراهيم، (2002)، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 3، العدد1، صفحة71.
- 13- قطامي، يوسف، (2013)، النظرية المعرفية في التعلم، دار المسيرة، الأردن.
- 14- ابن جني، عثمان، (2008)، الخصائص، دار الحديث، القاهرة.
- 15- ابن جني، عثمان، (1993)، سر صناعة الإعراب، دار القلم، دمشق، ط2.
- 16- ابن خلدون، عبد الرحمان، (1981)، المقدمة، دار القلم، بيروت، ط4.
- 17- الجاحظ، أبو عثمان، (2003)، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 18- الحريري، رافدة، (2010)، طرق التدريس بين التقليد والتجديد، دار الفكر، الأردن، ط1.
- 19- بن عون، الزبير، (2020)، الجغرافيا اللغوية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط، المجلد 14، العدد02، صفحة 135.
- 20- فريجة، أنيس، (1990)، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، دار الكلام، الرباط.
- 21- Pierre, C. M, (1994), Profession enseignant- Eduquer a l'environnement, Hachette éducation, France.
- 22- Serina-Karsky, S. P, (2020), Introduction. L'éducation Complexe : un nouveau Paradigme ? Tréma, Faculté d'éducation de l'université de montpellier, France, N° 54, p1.
- 23- Valade, B. (2018), une exigence insatisfait: l'interdeisciplinarité, La Revue, N° 80, p86.